كتاب جديد

٥ من ملفات الانتربول: لص.. لكنه فيلسوف!

زهيرة البيلى

دون طلقات الرصاص.. ليم بعدها الدمار فى المنزل الكبير.. انها طلقات مفرغة من تلك البندقية عيار ١٢ المزودة بغلاة مسنة. وتحدث انفجارات هائلة. وتخرج قذائفها على شكل طلقات مروحية. كأنها قبلة.. ألا يصعب على رجل فى الثانية والثلاثين من عمره التحكم فى بندقية بها هذه المواصفات؟!

فى هدوء وضع سماعة التليفون. فلم يتوقع المأمور أن يتلقى بلاغا مثله. لقد جن العجوز. خبأ إلى الدور الأرضى. وراح يحطم بندقية كل شئ داخل المنزل الكبير. فاستنجد الأمين بالبوليس. ثم أسرع واحدا فى قبو صغير بالمنزل هو وزوجته وابنه. وقبل أن تنتهى المكالمة. سمع المأمور بالفعل صوت دوى الرصاص القاتل. وكأن جهم قد حلت بمنزل عائلة «دافيدسون»...

اخترقت سيارة البعثة. ونحت صنوبرا الأحمر الذى أحد يعنى ويطفئ. تساءل المأمور عما هو فاعل.. فالمهمة صعبة للغاية.

منذ ثلاثين عاما كان «دافيدسون» العجوز يعيش واحدا من أكثر المتخصصات فى العاصمة «نيقادا». ولد حقق ثروة هائلة. فتح فى أعالى التلال والضادق. وكان عندما يذكر اسم «دافيدسون». فهذا معناه: فنادق فاخرة وسط الصحراء. أو سيارات مجهزة بأحدث الوسائل لنقل السياح عبر الصحراء.

وفى السنوات الأخيرة تعرض العجوز لخسارة مالية فادحة. وكان هذا عندما أراد أن يطلق على أحد مشروعات ثروة الثانى. فقد سمى العجوز أنه فى الثانية والثلاثين من عمره، وأنه فى عام ١٩٦٩. وأنه من الصعب إحياء هذا العرب البعيد. وبذلك فشل فى تجارة.

تراجعت الأفكار فى رأس المأمور وهو فى طريقه لأداء مهمته الصعبة. ولم يكن قد حدث من خسائر فى ثلاث أشهر. ولكن المهم عندى ألا تحدث خسائر فى الأرواح. فيقال العجوز أنه زوجة ابنه وحفيده الذى كان فى الثامنة من عمره.

بوابة المنزل فخمة مفتوحة على مصراعيها. والمنزل رائع فخم تتصدر واجهته أعمدة شاهقة. والديكور لايلخصه شئ. حتى الكرسى الفراز تحت الفرائد. ولايمكن أن يتحيل أحد أن يداخله عجوزا يحطم كل أركانه.

وهذا ما الأمور من البوابة. أخى رأسه على الفور أمام سيل قطع الزجاج المتطاير التى اتهالت على سيارته. فقد تطايرت إحدى النوافذ فى الهواء. فهم نسلل المأمور إلى الدخل فالدور الأرضى. حيث وجد نفسه وسط قاعة واسعة لها سلالم حلزونيان يوصلان إلى الدور الأول. تماما كان العجوز قد اشترى فيكون المنزل من أحد استوديوهات هوليود.

أما ابن «دافيدسون» - الذى أبلغ المأمور بالحادث التليفونى - فلم يكن هناك لاستقباله. فقد كان ما يزال نائما فى قبو أسفل البيت مع زوجته وابنه حفيد العجوز. ذلك أن الرصاصات كانت تنطلق فى كل مكان من البيت طلقة وراء طلقة. حتى تصدع السقف كله. وكادت النجفة الكريستال الضخمة تهدد بالسقوط. ثم بدأ العجوز يحوب بندقيته إلى الأرض. لقد أصيب حتما بالجنون.

كانت عملية شاقة على المأمور. فلها فعل فسوف يتعرض للانتقاد. لقد سبق أن درع «دافيدسون» العجوز علايين الدولارات من أجل البوليس والحادث. الطلاية. والخدمات الاجتماعية بالمدينة والكنيسة وناديى كرة القدم.

كان «العجوز» من ذلك الطراز الذى يتناول عشاءه على مائدة الفاطح. كما كان يشترك إلى حد ما فى الإشراف على الانتخابات. ولذلك كان للأمور شديد الحذر. فعليه أن يحافظ على حياة كل من فى المنزل. ولابد أن تأتى لحظة للخروج فيها ذخيرة العجوز.

عند المأمور بعد حبس مؤقتى على باب القبو. حيث كان الأمن الذى يبلغ الثانية والثلاثين من عمره - ويدير أعمال أبيه - بالداخل. بينما وقفت زوجته «فرجينيا» (٢٧ عاما) خلفه وهى ترتدى ملابس النوم. أما «راس» الصغير فقد بدا فى حالة فزع شديد.

وبدا الأمن يشرح: لم يكن الأب من النوع السهل أبدا. كان عنيفا ومتسلطا. ومع تقدم سنه. لم يتحسن بل على العكس. ازدادت حالته سوءا. خاصة بعد عمليته الثالثة الأخيرة التى أدمى الأب أنها خطة الأمن. أو زوجة الأمن التى أثرت بعائلها على زوجها. ولكن الحقيقة أن العجوز يصر على إدارة كل شئ بنفسه. وأنه ارتكب الحماقات. وأنه سبب شيخوخته وترمله لم يعد يطيق الحياة الأسرية.

ومنذ شهر أو شهرين. ومن داخل حقيبة قديمة محملة فى تحوت. أخرج العجوز بندقية صيد قديمة عيار ١٢. لايستخدمها إلا للصوص!

أخذ يتحول بها داخل المنزل. وكان يحتفظ بها إلى جانبه أثناء نومه حتى فزع الخدم من هذه التصرفات الجديدة الغريبة.

ولم يدر أن «دافيدسون» حتى هذه اللحظة أن يتدخل البوليس. ولكن الخبر تواطأ هذا الصباح أثناء تناولهم طعام الافطار. إذ مشادة تنس بالماء. فقد رأى العجوز أنه من الضرورى أن يعيث حفيده إلى مدرسة داخلية. واعترض الصغير. كما اعترضت الأم مؤكدة أن تربية الطفل مسئوليتها وحدها. وطلبت من العجوز ألا يتدخل فى شئونهم.

ولم يحتمل العجوز هذا الإصرار والعناد من قبل زوجة الأمن. فاحتقن وجهه من شدة الغضب وتطاير الشرر من عينه. فهض وصعد إلى الدور الأول. وأخرج بندقيته ولم يكن أمامهم وقت سوى ما يكفى لإغلاق الباب وإبلاغ البوليس. إلا أن الباب طار فى الهواء. فأسرعوا فرعين إلى القبو.

ومنذ تلك اللحظة لم يتوقف العجوز عن إطلاق النيران وتدمير كل ما حوله. فقد كان يملك بلا شك كمية كبيرة من الذخيرة واستمر على هذه الحال ثلاث ساعات كاملة. أحق بعدها صوت طلقات الرصاص.

وحاول الأمن الصعود إلى الدور الأول عن طريق باب مكسور. فرأى مشهدا مخيفا. لم تكن هناك مرآة واحدة سليمة. ولا لمبة نادرة فى مكانها. ولا نوافذ ولا أبواب. حتى السقف أصبح مثل الشظايا!

وسط هذا الخراب الكئيب كان الكرسى الفراز. وقد استسلم فوقه «دافيدسون» ليقوم محدثا شخيرا عاليا. بعد أن هدأت ثورته وقتل رأسه الأشيب بيتر وقتى. وبداء تمتكان بالبندقية.

الذى نبه المأمور خطوات هادئة. متجاهلا أى صوت قد يصدر عن بقايا الزجاج المتناثرة على الأرض. وعندما أصبح على بعد متر واحد من العجوز مد يده. ولكن العجوز فتح إحدى عينيه. ثم الأخرى. وتحولت سريعة نادرة تناول البندقية وصوبها نحو بطن

لنادر . وقال بصوت هادئ

- تعتقدون أني رحمت عقلا من حديد ؟

لم يتحرك الأمير من مكانه . بل رفع يديه والعرق يسيل جبينه . وطلب منه العجوز أن يتراجع إلى الوراء . وأن يجلس على حافة السرير . محذرا إياه من الزجاج المتناثر في كل مكان . وطلب منه أن يصغت إليه بتمعن عليه قصة شبابه .

عندما انتهى العجوز من كلامه . صرخ الأمير عندما أدرك أن عقلها عمره مئة وأربعين عاما . وقال لهما هو الذين يحاولون استعبادها . فإذا طلقني مرة فقط خلال نفس الإثارة سيقع بريشاني . ولذلك نصح الأمير ألا يتحرك من مكانه حتى يخرج من حديقة كله .

سأله العجوز إذا كان قد حاول مرة سجن حيوان داخل حجرة . فأر صغير مثلا ؟ حتما سوف يفقد الحيوان عقله !

ذلك ما أحس به الرجل أمس الرجل وهو في الثانية والثمانين . أحس كأنه فأر عجوز مطحون بعد أن أفلس . لحاول أن يبدأ من جديد . ولكن أنه الأحمق لم يفهم هذا . وتصور أنه عمل غريب بالنسبة لعجوز مثله . أراد أن يبدأ بربية الدواجن بعد غلاء أسعار اللحوم ولكن علماء البيئة يطالبون بالغذاء النباتي ! والطير يسبحون من صورة راعي البقر ! باختصار أراد إحياء الماضي . وكانت النتيجة : أنه لم يعد يملك دولارا واحدا !

أمام هذا الحديث الطويل . فتح الأمير عينيه جيدا . جامدا في مكانه على حافة السرير . ولا يقوى على الجريان أمام هذا العجوز الذي كان مدعوا في الأسبوع الماضي للعشاء على مائدة السلطان . مما لا يتيسر له حتى وجول الطبخ ! فكر الأمير بسرعة بأن الرجل تمر بأزمة مالية وهو في الثانية والثمانين . فبعد أن يعود على احترام الجميع له فلابد أن جدته أدت بكل احترام . حتى يطلق إليه ريبرك من يديه هذه الحديقة اللعينة . بعد أن تطلب على عرقه وجهده كان الأمير أخيرا

- السيد دافيدسون . أنا لا أعاني من أزمة مالية أو بسيط . قد زلت وسوف أبقى وفيا للنجاح . وعندما بيع الرجل العجوز ريفه . نصح الأمير وأكمل حديثه . وبعد لحظة صمت حاول إبعاد السلاح عن العجوز . ولكن بسرعة أطلق الرجل طلقة في السقف فتناثرت بقايا من الآت الخجرة .

تصميم محمد ابراهيم

فصفا الثانية فكانت على الأمير نفسه الذي أصبح يهددا بأخر طلقة .

وأدارت هذه الحركة غضب الأمير . فأدار لوزه . وجدا من الخلف باحدى قطع الأثاث . وحاول مفاجأة العجوز الذي أطلق طلقته الأخيرة . وهنا ألقى الأمير بالكرسي اتجاه إلى الخلف . فوقع العجوز على الأرض وقد ارتطم رأسه الأيسر . محدثا صوتا بهائيا أخيرا

ونهض الأمير . وعاد إلى الدور الأرضي . ثم اتصل تليفونيا بمدير المستودعات قائلا فيهم العجوز . لقد قتلت السيد دافيدسون . ولا يكون لدي خيار !

أحس الأمير بالتعاسة والفشل . إذ كيف لا يستطيع ضبط أعصابه أمام هذا العجوز الهرم ؟

ولكن أثناء مراسم الدفن ظهرت عدة حقائق أولا أن العجوز لا يدعى دافيد سون . بل إن اسمه الحقيقي ليودارد فريسكو . ثانيا أنه عاش مئة وأربعين عاما أي في عام ١٩٢٣ . كان قد أنهى خدمته في رحاب البوليس . وبنفس هذه الحديقة الخلفية . ثالثا بعد أن تم القبض عليه تمكن من الهرب من سجن الأريزونا . حيث غير الحدود إلى المكسيك . وتولى الأبناء عملية البحث عنه في كل مكان من الأراضي المكسيكية وبدون أمريكا الجنوبية . ولكنه نجح في الوصول إلى الولايات المتحدة . وعاش باسم مستعار . وأيام لنا د. دافيدسون . وكون ثروة في نفقا

وهو في الثامنة والأربعين من عمره . تزوج وأصبح من عملاء المخابرات . وصادق أكبر الشخصيات . فلما وصل إلى الثانية والثمانين من عمره لم يتحمل الخسارة المالية بعد أن كان يعد به الجميع . لم يتحمل أن يتحول إلى ليودارد الفاشل . ولم تمنعه كل ذلك من كتابة وصيته . التي لا تصح من حق إلا من يعرف أن الجميع مثلها . ولن يصبح الوارث من حق أحد وحفيدة إلا إذا حقق لورد ذلك

ثم تصح أنه لا يصدق الذي لا حدثه عن الإفلاس . فلا أحد يعرف أن تكون ثروته الحقيقية

لم يكن دافيدسون . مجرد عجوز أو رجل أعمال أو عجوز ماكر في الثانية والثمانين . لكنه كان أيضا فيلسوفا ■